و (لكم) متعلق ب (جعل) أي من جملة ما خلق له الليل أنه يكون لباسا لكم . وهذا لا يقتضي أن الليل عود الظلمة إلى جانب من الكرة الأرضية المحتجب عن شعاع الشمس باستداراته فتحصل من ذلك فوائد جمة منها ما في قوله تعالى بعد هذا (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر... .) الخ .

وقد رجع أسلوب الكلام من المتكلم إلى الغيبة على طريقة الالتفات .

و (لباسا) مشبه به على طريقة التشبيه البليغ أي ساترا لكم يستر بعضكم عن بعض وفي هذا الستر منن كثيرة لقضاء الحوائج التي يجب إخفاؤها .

وتقديم الاعتبار بحالة ستر الليل على الاعتبار بحالة النوم لرعي مناسبة الليل بالظل كما تقدم بخلاف قوله (وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا) في سورة النبأ فإن نعمة النوم أهم من نعمة الستر ولأن المناسبة بين نعمة خلق الأزواج وبين النوم أشد .

وقد جمعت الآية استدلالا وامتنانا فهي دليل على عظم قدرة الخالق وهي أيضا تذكير بنعمه فإن في اختلاف الليل والنهار آيات جمة لما يدل عليه حصول الظلمة من دقة نظام دوران الأرض حول الشمس ومن دقة نظام خلق الشمس ولما يتوقف عليه وجود النهار من تغير دوران الأرض ومن فوائد نور الشمس ثم ما في خلال ذلك من نظام النوم المناسب للظلمة حين ترتخي أعصاب الناس فيحصل لهم بالنوم تجدد نشاطهم ومن الاستعانة على التستر بظلمة الليل ومن نظام النهار من تجدد النشاط وانبعاث الناس للعمل وسآمتهم من الدعة مع ما هو ملائم لذلك من النور الذي به إبصار ما يقصده العاملون .

والسبات له معان متعددة في اللغة ناشئة عن التوسع في مادة السبت وهو القطع . وأنسب المعاني بمقام الامتنان هو معنى الراحة وإن كان في كلا المعنيين اعتبار بدقيق صنع ا تعالى . وفسر الزمخشري السبات بالنوم على طريقة التشبيه البليغ ناظرا في ذلك إلى مقابلته بقوله (وجعل النهار نشورا) .

وإعادة فعل (جعل) في قوله (وجعل النهار نشورا) دون أن يعاد في قوله (والنوم سباتا) مشعرة بأنه تنبيه إلى أنه جعل مخالف لجعل الليل لباسا . وذلك أنه أخبر عنه بقوله (نشورا) والنشور : بعث الأموات وهو إدماج للتذكير بالبعث وتعريض بالاستدلال على من أحالوه بتقريبه بالهبوب في النهار . وفي هذا المعنى قول النبي A إذا أصبح (الحمد الذي أحيانا بعد إذ أماتنا وإليه النشور) .

والنشور : الحياة بعد الموت وتقدم قريبا عند قوله تعالى (بل كانوا لا يرجون نشورا) . وهو هنا يحتمل معنيين أن يكون مرادا به البروز والانتشار فيكون ضد اللباس في قوله (وهو الذي جعل لكم الليل لباسا) فيكون الإخبار به عن النهار حقيقيا والمنة في أن النهار ينتشر فيه الناس لحوائجهم واكتسابهم . ويحتمل أن يكون مرادا به بعث الأجساد بعد موتها فيكون الإخبار على طريقة التشبيه البليغ .

(وهو الذي أرسل الريح نشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا [48] لنحيي به بلدة ميتا ونسقه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا [48] ولقد صرفنه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا [50]) استدلال على الانفراد بالخلق وامتنان بتكوين الرياح والأسحبة والمطر . ومناسبة الانتقال من حيث ما في الاستدلال الذي قبله من ذكر حال النشور والامتنان به فانتقل إلى ما في الرياح من النشور بذكر وصفها بأنها نشر على قرأه الجمهور أو لكونها كذلك في الواقع على قراءة عاصم . ومردود الاستدلال قصر إرسال الرياح وما عطف عليه على ا تعالى إبطالا لا دعاء الشركاء له في الإلهية بنفي الشركة في التصرف في هذه الكائنات وذلك ما لا ينكره المشركون كما تقدم مثله في قوله (وهو الذي جعل لكم الليل لباسا) الخ... .

وأطلق على تكوين الرياح فعل (أرسل) الذي هو حقيقته في بعث شيء وتوجيهه لأن حركة الرياح تشبه السير . وقد شاع استعمال الإرسال في إطلاق العنان لخيل السباق .

A E